الكل فى واحد عن توفيق الحكيم

..اذن ما هى حكاية الكل فى واحد؟

لى اهتمام قديم بتوفيق الحكيم ليس فقط كمؤلف مسرحى وانما كمفكر قومى مصرى كبير ذو بعد انسانى مستنير .فحدث ان زارنى فى منزلى المخرج الاذاعى المعروف الشريف خاطر وطلب منى ان أكتب لة نصا يستغرق ساعة إذاعية يتحدث عن المستقبل كى تشارك بة الإذاعة المصرية فى مسابقة دولية اسمها (فتورا برلين) وهذة المسابقة لاتمنح سوى جائزة وحيدة للفائز الأول فقط .وبعد قراءة متوسعة فى أغلب أعمال الحكيم وعنة خرجت بنص إذاعى بعنوان (الحكيم كاتبا مسرحيا مستقبليا) مازال البرنامج الثقافى يذيعة مرتين كل عام وبالفعل تم إنتاج العمل بميزانية إستثنائية وسافر المخرج الشريف خاطرالى المانيا الشرقبة وبالطبع لم يفز عملنا ولكن إحدى المحطات السويدية طلبت نسخة من التسجيل الصوتى ونسخة النص وكان هذا إستثناءا عن باقى المتسابقين الذين لم يفوزوا مثلنا, ظل الموضوع فى أدراجى كذكرى طيبة وحسب, إلى أن فكر (سميرسرحان) رئيس الجهاز حينها فى عمل أمسية مسرحية سريعة عن توفيق الحكيم بمناسبة إحتجازة فى المستشفى بسبب أمراض

الشيخوخة وكلف الناقد (فؤاددوارة) بكتابة النص المسرحى بصفتة متخصصا فى الكاتب الكبير وناقدا مسرحيا مرموقا ويبدو أن خلافا ما قد دب بين سميرسرحان وفؤاد دوارة فكان أن تم تحويل النص إلى لجنة النصوص التى كان يراسها الناقد أمير سلامة حين ذاك فرفضتة اللجنة المشكلة من خمسة أعضاء الأمر الذى جعل المشرف العام على الانتاج الأستاذ يوسف حنا أن ينصح المخرج العائد من روسيا الدكتور (ممدوح طنطاوى) أن يستعير منى شريطى الصوت المسجل عليهما موضوعى عن توفيق الحكيم وفى ذات ليلة فوجئت بالمخرج يطلب عقد جلسة معى لدراسة تحويل هذين الشريطين لعمل مسرحى ورحبت على الفور وأخذت مرة أخرى استعيد مراجعى العديدة عن الحكيم وكتاباتة وخصومة ونقادة وأنصارة..... الخ وهكذا تخلقت لدى صور مسرحية وكانت خبرتى بفنون النص المسرحى المتجدد وأساليب العروض الفنية الحديثة قد زادت أو بمعنى أصح قد نضجت الأمر الذى جعل المخرج وسميرسرحان يعلنان موافقتهما وبدأنا فعلا فى تكوين الكاست الفنى وكان جزءا مهما منة الفنانين فى الأقاليم وبكل أسف إستغرقت البروفات أشهرا طويلة خلالها عقدنا إتفاقا مع قطاع الفنون الشعبية برئاسة (محمود رضا) أن ينتج العرض مشتركا بين الثقافة الجماهيرية والقطاع الإستعراضى وبعد معاناة خرج العرض إلى النورعلى خشبة مسرح البالون كأكبر عرض غنائى إستعراضى حتى الآن وقف على هذه المنصة.

وماذا عن المشروعات الاخرى أيضا؟ هل انجزت شيئا؟

فى أواخر عام ١٩٧٢ كنت قد بلورت تجربتى مع كورال الطليعة بقيادة الراحل عبد العظيم عويضة وكورال النيل بقيادة الفنان المهاجر سيد شعبان فضلا عن خبرات أخرى متنوعة كنت قد تلقيتها من مشاهداتى على دار مسرح الأوبرا التى حرقوها وتجربة المخرج اليونانى موزينيدس فى حاملات القرابين على المسرح القومى بالإضافة إلى مشاهدات أخرى لفرقة بالية القاهرة وأعمال مسرحية إستعراضية كبيرة أقيمت حينها على مسرح البالون وفرق أجنبية متنوعة قدمت أعمالها على مسرح سيد درويش بالهرم هنا قررت أن أجمع كل هذه الخبرات فى عمل غنائى إستعراضى ماهو؟

كتبت – إذا – ما إستعرنا التسميات الأجنبية – أوبرا بالية بنيتها من أشعار توفيق زياد شاعر الارض المحتلة الفلسطينية الراحل, دونتها فى ستة مشاهد على طريقة كتابة السيناريو التليفزيونى والسينمائى تضمنت فى صميم سياقها ما يتعلق بالأداء الحركى الاستعراضى والسينوغرافيا والشعر ثم وضعت لها مقدمة شارحة عن تصوراتى الفنية للمنظر المسرحى والغناء والموسيقى وأداء الشعر والإستعراض على المسرح فى وحدة فنية متجانسة

وهل تتوقع ان يقبل الجمهور المصرى الآن على مثل هذا التناول ففى ظنى ان الفضائيات غيرت كثيرا من الذوق العام وهو أمر لابد وان يكون فى الحسبان؟

أظن إن أساليب العرض الفنية التى تطرحها هذه الفضائيات وبغض النظر عن تفاهة المضامين واللامبالاة بقضايانا الأساسية

فـإن الأشـكال والحـركات التـى تحفـل بهـا سـوف تسـاعد الجمهورعلـى الإقـتراب والتفاعـل مـع هـذا الشـكل الفنـى المسـرحى الـذى أزعـم أننـى طرحتـة فـى هـذا النص.لقـد شـاهدت علـى شاشـات الفضائيـات العربيـة فوتـو مونتـاج مـن شـذرات مسـتهلكة للأحـداث الدائـرة فـى عالمنـا العربـى قـام بوضـع موسـيقاها مؤلـف موسـيقى كبـير وشـهير فشـارك بلحـن واحـد كـررة علـى مدى سـاعة

ولم يقـدم هـذا البرنامـج أى جديـد لا فكريـا ولا فنيـا ثـم هنالـك أمـر أخـر حيـث يوجـد فـى جعبة تـراث المسـرح المصرى مسـرحيات قليلـة تتنـاول القضيـة التـى بـذل فيهـا المصريـون الشـهداء والضحايا والأمـوال والأعمـار لم يفكـر أحـد فـى إعـادة إنتاجهـا ومنهـا النـار والزيتـون لألفريـد فـرج ووطنـى عـكا وبـاب الفتـوح لمحمـود ديـاب والدبـان الأزرق لنجيـب سـرور بخـلاف ماسـاة جميلـة للشـرقاوى ومسـرحية ثـم غـاب القمـر للامريكـى جـون شـتاينبك وغيرهـا مـن المسـرحيات الأسـبانية والتشـيكية والأسـكتلندية والفرنسـية والروسية يبـدو أن تيمـة الدفـاع عـن الأوطـان غائبـة عـن الأذهـان فـى عصـر الإنفتـاح والعولمـة والطبقـة الجديـدة والخيانـات لذلـك أجيبـك أن الجمهـور المصـرى سـوف يقبـل علـى هـذا العـرض إذا مـا انتـج علـى النحـو الـذى بينتـة فـى النـص والمشـروع المرفـق بـه بـل أننـى أتحـدى بـه الحركـة المسـرحية والعربيـة

وماذا يوجد فى جعبتك ايضا؟

لـدى الكثـير.. فمنـذ اكثـر مـن عشـر سـنوات صادفـت برنامجـا قدمتـه المزيعـة حمديـة حمـدى وكانـت الضيفـة الفنانـة الكبـيرة

الراحلة (فاطمة رشدى) التى أنهت الحلقة باداء فز رائع للأبيات الأخيرة من مسرحية مصرع كليوباترا للشاعر أحمد شوقى والذى أذهلنى هو التفسير الفنى الكامن فى ثنايا هذا المونولوج وكأنما فاطمة أو كليو باترا تتحدى أوكتفيانوس أغسطس هذا المستعمر الغربى المنتصر وتواجهه بمعنى أن الإسكندرية تواجة روما وأن الشرق يواجة الغرب وأن مصر تتحدى أعدائها هنا أدركت أن الوعى الإبداعى الذى حملته فاطمة رشدى يعنى أن المسرح عندنا تخلف كثيرا عن مطلع القرن العشرين وأنة لم يستطع أن يتجاوز ما انجزه شوقى وعزيز عيد وفاطمة رشدى

هل تزمع كتابة نص جديد لهذا الموضوع؟

نعم

فى هذه الحالة هل تستطيع تجاوز ما أنجزة كل من وليم شكسبير فى مسرحيتية الشهيرتين ومسرحية أحمد شوقى؟

لا أستطيع الكلام عن شخصى وقدراتى كل ما أملكة تصورات وفرضيات وبضع مشاهد من المسودات كان أستاذى ومعلمى الراحل دكتور فخرى قسطندى قد قرأها قائلا اذا ما نجحت فى إنهاء هذا النص وتحقيق حلمك فية فانك تكون قد إستطعت تجاوز كل من سبقوك

تبين من كلامك إنك مشبع بنص أحمد شوقى فماذا عن شكسبير؟

نحن نتعامل مع هذا الفن الذى يسمى عالى بعقدة نقص تمنعنا من تجاوزه وأن نكون نحن..نحن وفى شكسبير الذى

إنتقدة برشت من الناحيتين الفكرية والفنية وكذا برناردشو ليس فوق النقد بل أن المفكر الفلسطينى العربى إدوارد سعيد قد هاجمة بصفته كاتبا كولونياليا وقد أعطى مثالا لهاتين المسرحيتين بالذات كتعبير عن النظرة الإمبراطورية البريطانية تجاة مصر

إذا كنت قد رفضت معالجة شكسبير فماذا عن معالجة أحمد شوقى؟

فى مشروع معالجتى الجديدة أفدت كثيرا منهم فى فن وتقنيات الكتابة من حيث إلبناء والشخصيات والحركة فى الزمان والمكان

هل لديك تقنيات جديدة لكتابة ذلك المشروع لتحدثنا عنها؟

تحركت فى مشروعى على محورين أو مستويين الأول هو ما يدور فى القصر بين كليوباترا وأنطونيو فى تفاعل مع نوايا أوكتافيوس وروما العدوانية وفى المستوى الثانى تحركت فى أحد أسواق الإسكندرية طوال الليل فى الأول استخدمت فصحى أنيقة منتقاة اللفظ والعبارة والدلالة وفى الثانى إستخدمت لغة السوقة والحرافيش يتكثيف شعرى عامى دونما إبتذال, كما استخدمت تقنية التشخيص بين العامة حينما يعكسون ما يصلهم عن حياة القصور أو تصوراتهم عنها محاولا خلال كل ما سبق الإجابة عن سؤال محورى لماذا هزمت كايوباترا ولماذا هزمنا وفى النهاية أجدنى لم اخرج كثيرا عن التصور الفكرى الذى وضعة الشاعر أحمد شوقى

فات وقت طويل على تعليق الدكتور فخرى قسطندى ومع

ذلك أجدك لم تنتهى بعد من النص فما هى الأسباب؟

أنا أكتب للعرض المسرحى ولا أكتب للمطبعة وكما تعلم من حقائق مؤسفة عن وضع الإنتاج وإدارة فن المسرح فى مصر فأننى حين أمسك بالقلم يهيمن على شك مضجر أن ما أنجزة لن يرى النور أيضا هناك لدى بعض النقص فى المصادر

سبق ان قلت لى انك جمعت أغلبها؟

هذا صحيح ولكن تنقصنى بعض المواد البسيطة التى تساعدنى على إنعاش المشاهد وإعطاء الشخصيات مزيدا من الحيوية منها قالب يسمى الإبيجراما أريد أن أستوحية فى السخرية من الموت وهناك شكل مسرحى يسمى مسرحيات المايم التى كتبها الإغريقى هيرو نداس الذى عاش فى مدينة الإسكندرية حوالى عام ٢٧٠ ق م هذا لكى أحمل المشاهد مزيدا من السخرية والحيوية وأجدنى الآن مقبلا على كتابة هذا النص بلا إنتظارللأمور المتعلقة بالإنتاج ....

لدى أيضا مشروع جديد اسميته غابة الزيتون وهو مسرحية تسجيلية مصدرها الرئيسى هو وقائع الجريمة الصهيونية التى ارتكبت فى قرية كفر قاسم الفلسطينية عشية العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ومصدرها الشعرى هو قصيدة للشاعر الراحل محمود درويش مستلهمة من هذا الموضوع, غير أننى أقتنيت مؤخرا كل إبداعاتة بعد عام ١٩٧٧ بالإضافة إلى كل ما قبل ذلك لعلى أستعين بمقاطع منها لتخفيف الجفاف الدموى للمادة التسجيلية المتوفرة لدى بكاملها